عروض موقعة

"حروب فاتنة" في عالم القص!

د. أحمد عمار
مدرس الأدب العربي الحديث بكلية الآداب
– جامعة القاهرة

كيف يمكن للحروب أن تكون فاتنة؟ من أين تأتي لها الفتنة؟ كيف يكون الواقع خيالا؟ وكيف يصبح الخيال واقعًا هزليًا؟ كيف تكون الجدية ساخرة؟ وكيف تتحول السخرية إلى جدية موجعة؟ كلها أسئلة تجدها أمامك وأنت تقرأ المجموعة القصصية "حروب فاتنة" لحسن عبد الموجود، الصادرة عن دار الكتب خان ٢٠١٨.

حسن عبد الموجود صحفي همام يعمل في الصحافة الثقافية "أخبار الأدب" منذ ما يقرب من عقدين كاملين، فقد أطل بسنوات عمره على عتبات الأربعين.. إلا أن الصحافة لم تخطف عبد الموجود من معشوقه الأول؛ وهو القص، فعاش صحفيًا قاصًا، وقاصًا صحفيًا.. صدرت له روايتان هما "عين القط" ٢٠٠٣م، الحاصلة على جائزة ساو يرس ٢٠٠٥م، و"ناصية باتا" ٢٠١١م، إلى جانب ثلاث مجموعات قصصية "ساق وحيدة" ٢٠١٣م، و"السهو والخطأ" ٢٠١٦م، وآخرها "حروب فاتنة" ٢٠١٨م.

تضم مجموعتنا "حروب فاتنة" عشر قصص، هي على الترتيب: "دراجة تعيد رفيق الحزب القديم"، و"الغرف المنسية"، و"معزة جوركي"، و"العرض الأخير"، و"النوم مع فتاة مود لياني"، و"إشارات حمراء تفضي إلى بحر"، و"ليلة العقرب"، و"حروب فاتنة"، "ماء العقرب وتراب العذراء"، و"ضحكات التماسيح".

تتداخل الأنواع الأدبية في "حروب فاتنة"، فتجد الرواية مع الصحافة مع القصة القصيرة

في مزيج عجيب تقف وراءه تلك الخلفية متعددة الزوايا لعبد الموجود.. شخوص عبد الموجود شخوص روائية –إذا جاز التعبير- يغوص داخلها مقدما لنا خلفياتها إلى حد كبير.. تعرف ماهيتها.. هويتها.. هواها وميلها.. لا يقتصر الأمر على تسليط عدسة الكاميرا على زاوية واحدة في المشهد، كما هو المألوف في القصة القصيرة، وإنما تأخذ العدسة قطاعًا عرضيًا لهذه الشخوص تجعلنا نقترب منهم لنعيش معهم حياتهم، أو على الأحرى جزءًا منها.

في "دراجة تعيد رفيق الحزب القديم" نجد ذلك اليساري (توفيق/ عبد الملاك) الذي يقوم بمهام سرية للحزب الشيوعي، مستعينًا بالدراجة (العهدة).. يعيش وحده.. لا أب، ولا أم، ولا أصدقاء خارج العمل الحزبي والسري.. لا يخشى الموت بقدر خوفه من النسيان.. لا يرغب في شهرة بقدر رغبته في بقاء اسمه أطول وقت، ولو في ذاكرة شخص واحد.. يلتقي "مونيكا" –الاسم الحركي الذي عرفها به- في مهمات سرية عديدة، تقتصر على تسليمها مظروفًا.. تلتقي العينان في كل مرة، فيقعان معًا في شرك الحب.. يقرران الزواج، بعد أن يشهر إسلامه.. ظل زواجهما سرًا.. يحافظان على سرية هويتهما.. شاهد اسمها لأول مرة في وثيقة الزواج.. كانت "هناء"!.

ظلا يلتقيان في مهامهما السرية وسط شوارع القاهرة، وكأنهما لا يجتمعان في بيت واحد.. في واحدة من هذه المهام يخطف الموت "مونيكا" مستعينًا -أي الموت- بحادث سيارة على مرأى من "توفيق".. تفشل المهمة ويضيع معها الحلم.. يلقي نفسه في أسر شقته فلا يغادرها.. سنوات طويلة تمر، يتغير فيها حال مصر.. لم يعد هناك يسار وإن ظل الحزب موجودًا! وبعد هذه السنوات الطويلة التي زادت على العشرين يقرر "توفيق" أن يعيد (العهدة) ليعرف أن كل شيء لم يعد كما كان!.

ويستمر عبد الموجود في قصته الثانية "الغرف المنسية" في عالم قريب من عالم "توفيق".. نرى بطل "الغرف المنسية" الذي يعمل في تلك المصلحة الحكومية التي أنشئت في ظل الجمهورية العربية المتحدة، وقت الاتحاد المصري السوري.. انتهت الوحدة، ولم يعد هناك جمهورية عربية متحدة، ولكن هذه المصلحة ظلت تعمل (بلا عمل)، محافظةً لموظفيها على رواتبهم ومناصبهم.. تمر السنوات.. يودع بطلنا زملاءه واحدًا بعد واحد، ثم يودع زوجته ليذهب الجميع إلى ذلك العالم الآخر.. لم يعد في المصلحة غيره بعد أن ترقى في المناصب، ومرؤوس وحيد.. يأتي كل يوم إلى العمل؛ حيث اللاعمل ليمارس مهام الرئاسة، محتفظًا بصورة الزعيم - الذي ذهب هو أيضًا إلى العالم الآخر- معلقة على الحائط، دون أن يغيرها بصورة زعيم آخر من الزعماء التاليين.. يحرضه الموظف الذي يعمل معه على الإتيان بتلك الفتاة الغضة لتقوم بمهمة تنظيف المكتب بدلا منهما.. يوافق في نهاية الأمر.. لم يكن يعرف أنه سيرى فيها صورة زوجته منذ ثلاثين عامًا.. يقع في شركها.. ولكن.. هل يستعيد الزمن الذي ذهب!.

وفي "معزة جوركي" يظهر الحس الساخر لدى عبد الموجود.. في عالم "فانتازي" تعثر أم بطلنا على "معزة" تائهة من راعيها؛ حيث شردت عن بقية القطيع.. تأخذها إلى بيتها، ليفاجأ بطلنا بمعزة في بيته.. (يبدو أن بطلنا هو حسن عبد الموجود ذاته.. يكفي أن تعلم أنه يسكن بالمهندسين على حدود ميت عقبة، مثل بطل قصتنا).. الأم الآتية من الصعيد (حسن أيضا من الصعيد) تعيش أزمة الخوف من تنصت جارتها عليها.. تعتقد أنها تتتبعها وتريد أن تعرف عنها كل شيء.. من أجل ذلك لا تحب أن تمسك بهاتفها.. تضعه في "الميكرويف" فهي معرضة للاختراق.. عبثًا حاول بطلنا أن يقنعها بأن هذه أوهام.. تُحضر الأمُّ المعزةَ إلى بيت ابنها المثقف في مشهد عبثي ينتهي بأن تبيت المعزة ليلتها في المكتبة، فتلتهم ما تستطيع الوصول إليه من كتب.. كان تركيزها منصبًا على الأدب الروسي.. تحت قدميها كانت بقايا أحد أغلفة كتاب لـ"جوركي"! ويقرر الابن التخلص من المعزة فتبدأ رحلة البحث عن صاحبها التائه، أو الذي تاهت منه!.

في "العرض الأخير"، و"النوم مع فتاة موديلياني" يخترق حسن عبد الموجود عالم اللامعقول.. في الأولى نرى ذلك الذي يقيم في شقة تطل على سجن طرة.. يقيم علاقات مع الفتيات ، صانعًا من نافذة بيته مسرحًا يشاهد عبره المسجونون –ومعهم الضباط والجنود- تلك العلاقات! لا يهتمون كثيرًا بتلك الثورة التي تشتعل في الميادين.. هم مشغولون بثورة أخرى قاموا بها رافضين قرار المأمور بمنعهم من متابعة ما ألفوا على مشاهدته عبر هذه النافذة!.

وفي الثانية –أعني "النوم مع فتاة موديلياني"- نرى ذلك الذي ينام في كل وقت وحين.. يتعرض للقمع من أحد الضباط في أحد الكمائن نتيجة لنومه أثناء محاورته.. يقرر بعد ذلك أن يطور من نفسه.. يصبح النوم وسيلته الحربية.. يستطيع أن ينام في كل وقت، دون أن يغمض عينيه، مدربًا نفسه على أن يشعر بكل ما يدور حوله أثناء النوم! يعمل في أحد البنوك، بعد أن كان عاطلا.. يبحث في مشهد هزلي عن الضابط الذي قمعه قبل ذلك ليحاربه بالنوم الذي أصبح يتحكم فيه، ولكن الضابط يفوت عليه الفرصة، فقد تركه إلى حال سبيله بعد أن عرف وظيفته. يطلب منه مديره أن يقوم بتعريف ضيوف البنك باللوحات المنتشرة فيه، وهو العالم بها وبتاريخها، المتأمل فيها دومًا.. يصل الضيوف إلى لوحته المفضلة.. "فتاة موديلياني" التي يهواها.. وينام بطلنا في هذه اللحظة..

وفي "إشارات حمراء تفضي إلى بحر"، و"ليلة العقرب" يرحل بنا عبد الموجود إلى عمان، واليمن على الترتيب.. في الأولى يرحل إلى عمان ليسكن قريبًا من ذلك القصر الذي يحمل شعار السلطنة.. ينظر من نافذته ليرى ذلك الموكب الضخم.. لم يكن يدرك أن القصر تابع للسلطنة.. يقترب الموكب من بيته.. يرى السلطان ذاته يغادر سيارته متجهًا إلى بيته رأسًا.. يعتقد أنهم قد أتوا للنيل منه عقابًا له على العلاقة التي تربطه بتلك الفتاة العمانية التي تنام بالداخل..

يسرع إليها ليوقظها ويخبرها بما رأى، فتسخر منه كاشفة عن سر القصر المجاور.. يتكرر المشهد ثانية، فيغادران المكان معا، ويسيران في اتجاه (إجباري) يجبرهما عليه رجل/ رجال المرور لينتهي بهما المسير إلى البحر.. إنه البحر الذي كان يريد هو الذهاب إليه!

وفي الثانية "ليلة العقرب" نذهب إلى اليمن.. بطلتنا المصرية تذهب إلى اليمن للعمل في المدرسة ذاتها التي يعمل فيها زوجها.. لم يكن في انتظارها لاصطحابها إلى أعلى؛ حيث المنطقة الجبلية التي يعيش فيها.. جاء ناظر المدرسة بنفسه لاصطحابها.. قرر أن يقوم بذلك بدلا من زوجها المريض الذي أصيب بالملاريا، فمنعه المرض عن القيام بهذا الواجب.. وتبدأ رحلة الصعود ومعها تبدأ رحلة تحرش الناظر بها، دون أن تشعر هي بذلك أو تفطن له في البداية.. اكتفت فقط بشعور خفي كان يطاردها عندما تجد نظراته الموجهة إليها.. في المدرسة ترى زوجها المريض.. تمر الأيام ويتم الشفاء.. في هذا اليوم يدعوان الناظر تقديرًا له على ما قام به.. وبعد نهاية اليوم يقرر الناظر أن ينام في المدرسة.. فقط طلب ملاءة وغطاءً.. ويتم اللقاء الأول بين الزوجين.. لم يكتمل اللقاء فقد علت صرخات الناظر.. يسرعان إليه ليجدا عقربًا قد لدغه.. ، فربما كان يتلصص عليهما.. ويذهب ثلاثتهم مسرعين للحصول على المساعدة.. وتبدأ رحلة النزول إلى السفح.. وهناك تهاجمهم القرود!.

في "حروب فاتنة" نجد ذلك المجند الذي يكلفه الضابط (الممتلئ) دومًا بمهام لا يقوم بها غيره.....! كانت حروبا فاتنة بالنسبة له، فلولا أنه –وهو الغبي متواضع الإمكانات- مصدر ثقة لهذا الضابط لما خصه بهذه المهام.. كانت المهمة الأخيرة العظيمة هي حراسة تلك الشجرة التي يعلوها الغربان.. يحاول القيام بمهمته على أكمل وجه، إرضاء لرئيسه.. نعم إنه يحاول في كل لحظة أن ينال رضاه.. ولم لا، وهو الذي يُنعم عليه بخوض تلك الحروب الفاتنة!

أخيرًا يدخلنا عبد الموجود عالم الصحافة، فبطلا قصتينا الأخيرتين "ماء العقرب وتراب العذراء"، و"ضحكات التماسيح" صحفيان؛ الأول مسئول عن باب الأبراج، يطلب منه رئيسه فقط أن يكتب "حظك اليوم" يوميًا بشكل جيد لمواليد برج الثور.. ولم لا، والرئيس من مواليد هذا البرج؟ ترك له حرية كتابة بقية الأبراج.. طلب منه ثانية أن يكتب شيئا خصيصًا لمواليد برج الأسد، فابن أحد الوزراء من مواليد هذا البرج! في البيت نرى والده مريضًا بورم سرطاني في الكبد (والد عبد الموجود–رحمه الله- نفسه كان مريضًا بالمرض ذاته).. تحضر ممرضة لرعايته.. يقع بطلنا في حبها، رغم أنها تنتظر خطيبها المسافر الذي لم ترَه يومًا.. كانت مهتمة بالأبراج، فظل يقدم لها الكثير.. إنها لعبته.. يحذر أباه من أن يعرفها بأنه المسئول عن باب الأبراج، ولكنه الأب يقع في المحظور.. وقتها تعرف أنه يحبها، وربما كانت تعرف قبلها.. لكنها تغادر المنزل بلا عودة، فخطيبها الذي عاد قد قرر أن تتوقف عن العمل.. ساعتها يقرر بطلنا التمرد على كل

شيء.. يكتب "حظك اليوم" لكل الأبراج على هواه، بما فيها الأسد، والثور أيضا!.

أما الصحفي الثاني -في "ضحكات التماسيح"- فيعيدنا إلى عالم القصتين الأوليتين في مجموعتنا.. صحفي معارض، أو لنقل إنه مستقل.. يؤسس عددًا من الصحف المستقلة.. كانت له مكانته التي يعرفها الجميع.. تمر السنون، فيبلغ سن التقاعد، ليترك جريدته التي يعتز بها كثيرًا.. يوما ما قرر أن يذهب إلى جريدته.. لم تعد الجريدة كما كانت.. كانت أخبار الرياضة والفن تزين صفحتها الأولى.. لم يعد هناك سياسة.. ذهب إلى هناك.. إلى حجرة التنفيذ رأسًا.. يصدر أوامره بإلغاء أوامر رئيس التحرير، ويرسم الصفحة الأولى بنفسه.. ينظر الكل إليه نظرة تعجب.. يعيد الكرة في يوم تالٍ، ولكن، هل يكتفي الكل بالتعجب؟!

"حروب فاتنة".. مجموعة قصصية رغم اختلاف عوالمها، مكانًا، وزمانًا، وشخوصًا، وأحداثًا، وخيالا، وواقعًا، وسخرية، وجدية، فإن هناك رابطًا ينساب عبر صفحات المجموعة.. شيء ما يجعلك تشعر بأنك أمام حلقات متصلة منفصلة.. لا تعرف كنه هذا الشيء، ولكنك ستظل تبحث عنه.. حتى النهاية ربما لن تجده، فتكتفي بأن تقول: ربما كان السرد/ السارد.. سارد واحد يصحبنا معه من أولى صفحات مجموعتنا، وحتى الصفحة الأخيرة.. سارد بنكهة الرواية في عالم قصصي مغموس بالبحث والتحري على طريقة الصحفي الميداني، ليدخل حروبًا فاتنة في عالم القص!